د شوقي أبو خليل

أحبّ أن أعرف
تاريخ أمّتي

محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلم

من البعثة إلى الهجرة

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي للسلسلة: ٠١١, ٣٠٢٦
الرقم الاصطلاحي للحلقة: ٠١١, ٠٨٨١
الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-113- 2
الرقم الدولي للحلقة: ISBN: 1-57547-118 -3
الرقم الموضوعي: ٨٧٠
الموضوع: أدب الأطفال
السلسلة: أحب أن أعرف تاريخ أمتي
العنوان: محمد رسول الله ﷺ من البعثة إلى الهجرة
إعداد: د. شوقي أبو خليل
رسوم وإخراج: المكتب الفني - دار الفكر
الإشراف: محمد سرور علواني
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ١٦ ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

إعادة
١٤٢٢هـ=٢٠٠١م
ط١: ١٩٩٣م

زينة : يَاسَامِرُ ، يَاعامِرُ ، اليومَ جلستُنا العلميَّةُ التَّاريخيَّةُ .

سامر : نعم ، وسنتابعُ سيرةَ نبيِّنا الكريم ﷺ .

عامر : سيحدِّثُنا والدُنا العزيزُ عن السِّيرةِ النَّبويَّةِ العَطِرَةِ ، من البعثـةِ إلى الهجرةِ .

زينة : هل سجَّلتُما بعضَ الأسئلةِ ؟

سامر : سأسأَلُ والدي عن طبيعةِ رسالةِ الإسلامِ وخصائصِها .

عامر : وأنا سأسأَلُ والدي عن (عامِ الحزنِ) .

زينة : وأنا سأسأَلُ والدي السؤالَ التَّاليَ : لماذا اختارَ ﷺ يثربَ (المدينةَ المنوَّرةَ) داراً للهجرةِ ؟

وهنا .. تدخل ديمةُ الصَّغيرةُ لتقولَ لإخوتِها : بابا وماما ينـاديـانكم ، حملَ سامر أُختَهُ ديمة وقبَّلَها ، وسارَ معَ إخوتِـهِ إلى غرفـةِ الجلوسِ ، وحينمـا دخلوهـا قالوا : السَّلامُ عليكم .

ردَّ الوالـدانِ السَّـلامَ ، بينمـا كانَ الأولادُ يتحلَّقـونَ حـولَ المنضـدةِ ، وقـال الأبُ : أهلاً بكُم يا أبنائي الأعزَّاءَ ، سنتابِعُ اليومَ عرضَ سيرةِ نبيِّنا الكريمِ ﷺ من البعثةِ وحتَّى الهجرةِ ، وسنبدأُ من غارِ حِراءَ .

يومَ الإثنين ١٧ رمضان ، نزلَ جبريلُ بالوحي عليه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، وقال : « يـا محمَّـدُ أنتَ رسولُ اللهِ حقّـاً ، وأنـا جبريل » ، وتلا عليـه : ﴿ ٱقْرأ بِٱسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ .. ﴾ .

الأُم : عاد ﷺ إلى بيتِـهِ ، وقصَّ على زوجِـهِ خـديجـةَ مـا رأى ومـا سمعَ ، والزَّوجةُ أعلمُ النَّاسِ بزوجِها ، فقالت : واللهِ لن يُخزيَكَ اللهُ أبداً ، إنَّـك لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَصْدُقُ الحديثَ ، وتؤدِّي الأمـانـةَ ، وإنَّ خُلُقَـكَ لَكَرِيمٌ ، ثمَّ انطلقت إلى وَرَقَـةَ بنِ نَوْفل ـ وهو عـالِمٌ عـابـدٌ ـ فـأخبرتْـهُ مـا أخبرَهـا بـه ﷺ ، فقـالَ ورقةُ : واللهِ إنَّ ابنَ عمِّكِ لصادقٌ ، وإنَّهُ لبـدءُ النُّبوَّةِ ، وإنَّـهُ لَيـأتيـهِ النَّـاموسُ الأكبرُ ، أي جبريلُ عليه السَّلامُ .

الأب : لقد كان ﷺ في الأربعين من عُمُرِهِ عندما نزلت عليه أُولى كلماتِ القرآنِ الكريمِ : ﴿ ٱقرأ ﴾ ، إنَّها عظمةٌ لأُمَّتِنا ـ وللعالَمِ كلِّه ـ أن تكون ﴿ ٱقرأ ﴾ بدءَ شريعتها ، إنَّ ﴿ ٱقرأ ﴾ يا أبنائي نورٌ انطلق من حراء لتشرقَ به جنباتُ الأرضِ حضارةً ورُقيّاً وإخاءً وإنسانيَّةً .

سامر : ما طبيعةُ هذه الرِّسالةِ الَّتي بدأت بِـ ﴿ ٱقرأ ﴾ ؟

الأب : شريعةٌ عامَّةٌ لكلِّ النَّاسِ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ ﴾ ، [الأنبياء : ١٠٧/٢١] .

الأُم : وتخاطب العقلَ ، لا أسرارٌ ولا رموزٌ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ ﴾ ، [الزُّمر : ٩/٣٩] .

الأب : ومعجزةً خالدةً باقيةً ، حقائقُها ثابتةٌ مهما تقدَّم العِلْمُ وارتقى ، فهي تنزيلٌ من مُهَيْمنٍ عليمٍ خبيرٍ .

الأُم : لذلكَ نسمعُ بينَ آونةٍ وأُخرى إعلانُ إسلامِ كبارِ العلماء في الغربِ ، على اختلافِ اختصاصاتِهِمُ العلميَّةِ .

الأب : إنَّهم يسلِّمونَ بالقرآنِ الكريمِ معجزةً خالدةً .

زينة : ألا يكفينا فخراً أنَّ أُولى درجاتِ ارتقاءِ العِلْمِ ﴿ ٱقرأ ﴾ هي أُولى كلماتِهِ ؟!

عامر : لقد بدأت الدَّعوةُ الإسلاميَّةُ بنزولِ الوحْي ، وَمن ثَمَّ ؟

الأب : وبقيت الدَّعوةُ سِرّاً ثلاثَ سنين ، أسلم خلالَها عددٌ من الصَّحابة ، ثمَّ نزلت الآيةُ الكريمةُ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقرَبِينَ ﴾ حلقة أُولى ، ثمَّ أُمِرَ بتبليغِ قبيلتِه وقومِه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى ـ أي مكَّة ـ وَمَا حَوْلَهَا ﴾ ، [الشُّورى : ٧/٤٢] ، حلقة ثانية ، ثمَّ بعدَ قريشٍ والعرب كلِّهم ، تأتي الحلقةُ الثَّالثةُ ، البشريَّةُ جمعاءُ ، والعالمُ كلُّه وهو الهدف : ﴿ وَمَا أرسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ ﴾ .

الأُم : وعندما جهر ﷺ بالدَّعوةِ سَفَّهَ وثنيةَ قريشٍ ، وعبادتَها الأصنامَ ، فناصبوهُ العداءَ ، وعذَّبوا المسلمين ، وكان ﷺ في حمايةِ عمِّه أبي طالبٍ .

الأب : لقد كان ﷺ صابراً مثبِّتاً لأصحابه ، فهو على يقينٍ بانتصار الإسلامِ وانتشارِ التَّوحيدِ .

الأُم : وعلى الرَّغم من اضطهادِ قريشٍ وعداوتِها كانت تهابُه ﷺ .

الأب : طاف ﷺ بالبيتِ يوماً ، ووجهاءُ قريشٍ وسادتُها جالسون في فِنائِه ، فكلَّما مرَّ ﷺ غمزوا بالقول ، فيبدو ذلك في وجهه ﷺ ، ولما أتمَّ طوافَهُ سبعةَ أشواطٍ ، التفتَ إليهم وقالَ ﷺ : يا معشرَ قريشٍ ، شاهتِ الوجوهُ ، وأرغمَ الله هذهِ المعاطس ـ أي الأُنوف ـ، فراعهُم قولُهُ وأفزعَهُمْ ، وقالوا : اذهب أبا القاسِمِ موفوراً ، ما علمنا عليكَ شرّاً قطُّ .

الأُم : وكان أبو جهل أشدَّ النَّاسِ عداوةً وبغضاً لرسول الله ﷺ ، وكانَ لبعضِ العربِ دَيْنٌ عليه فماطلَهُ ، ثمَّ امتنعَ عنِ السَّدادِ ، فاستعانَ الرَّجُلُ ببعضِ زعماءِ مكَّةَ ممن هم على شاكلةِ أبي جهلٍ ، فأحالوهُ على محمَّد ﷺ متهكِّمينَ منه ، فذهبَ إليه الرَّجلُ يستعينُ بِهِ ، فذهبَ ﷺ إلى بيتِ أبي جهلٍ ، وطرقَ البابَ ، فخرج إليه ، فقالَ لهُ ﷺ : أدِّ للرَّجلِ دَيْنَهُ ، فأحضرَ المالَ ، وسدَّدَ الدَّينَ صاغِراً ، وصارَ أبو جهلٍ أُضحوكةَ الجاهليِّينَ أشباهِهِ .

الأب : بدأ الإسلامُ يجدُ طريقَهُ إلى القبائِلِ ، فازدادت مناوأةُ قريش ، وازدادَ إيذاؤها للمسلمينَ ، فأذِنَ ﷺ للمسلمينَ بالهجرةِ إلى الحبشةِ ، حيث سمِعَ ﷺ بتسامحِ ملكِها (النَّجاشيِّ) وحسنِ خُلُقِهِ .

الأُم : لقد أرسلتْ قريشٌ مَن يطلبهُمْ منهُ لإرجاعِهِمْ إلى مكَّةَ حيثُ العذابُ والاضطِّهادُ .

الأب : لقد رفضَ النجاشيُّ إعادتَهم إلى قُريشٍ ، بعدما سمِعَ من جعفرِ بنِ أبي طالبٍ آياتٍ من القرآنِ الكريمِ فيها احترامٌ للسَّيِّدِ المسيحِ ، ومما قالَهُ جعفرُ للنَّجاشيِّ : « أيُّها الملكُ ، كنَّا قوماً على الشِّركِ ، نعبدُ الأوثانَ ، ونأكُلُ الميتةَ ، ونُسيءُ الجوارَ ، يستحلُّ المحارِمَ بعضُنا من بعضٍ في سفكِ الدِّماء وغيرها ، لا نُحِلُّ شيئاً ولا نُحرِّمُه ، فبعَثَ اللهُ إلينا نبيّاً من أنفسِنا نعرفُ وفاءَهُ وصدقَهُ وأمانتَهُ ، فدعانا إلى أن نعبدَ اللهَ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ، ونصِلَ الأرحامَ ، ونحميَ الجوارَ ، ونصلِّي للهِ عزَّ وجلَّ ، ونصومَ لهُ ولا نعبدُ غيرَهُ » .

الأُم : عندها قرَّرت قريش مقاطعةَ كلِّ بني هاشِمٍ وبني عبدِ المطَّلِبِ في شِعبٍ عُرِفَ باسم : (شِعبِ أبي طالبٍ) .

الأب : أقامَ بنو هاشِمٍ وبنو عبدِ المطَّلِبِ في الشِّعْبِ ثلاثَ سِنينَ ، قطعتْ قريش خلالَها الطَّعامَ ، إلاَّ ما كانَ يَصِلُهُم سِرّاً ، وعلَّقت صحيفةً في جوفِ الكعبةِ تَنُصُّ على المقاطعةِ التَّامَّةِ .

الأُم : أخبر ﷺ عمَّهُ أبا طالب أنَّ (الأَرَضَةَ) ـ وهي دودةٌ بيضاءُ تُشبِهُ النَّملةَ ـ أكلت ما كانَ في الصَّحيفةِ من جَوْرٍ وظلمٍ ، وبقيَ اسمُ اللهِ عزَّ وجلَّ فقط .

الأب : ذكرَ أبو طالبٍ ذلكَ لإخوتِهِ ، وخرجوا إلى المسجدِ ، فقالَ

أبو طالبٍ لكفَّارِ قريشٍ : إنَّ ابنَ أخي قد أخبرني ولم يكذِبْني قطٌّ ، أنَّ الله قَد سَلَّطَ على صحيفتِكُمْ (الأرَضَةَ) فأكلَتْ كلَّ مافيها من جَوْرٍ ، أو ظلمٍ ، أو قطيعةِ رحمٍ ، وبقي فيها كلُّ ماذُكِرَ بهِ الله ، فإن كانَ ابن أخي صادقاً رجعتُمْ عن سوءِ رأيِكُمْ ، وإن كانَ كاذِباً دفعتُهُ إليكُمْ فقتلتُمُوهُ أو استحييتُموهُ ، قالوا : قد أنصفَنا أبو طالب ، فأرسلوا إلى الصَّحيفةِ ففتحوها ، فإذا هي كما قالَ ﷺ ، فخرجوا من شِعبِ أبي طالبٍ .

عامر : وما عامُ الحزنِ يا والدي ؟

الأب : في السَّنةِ العاشرةِ من البعثةِ ، بعدما خرجَ بنو هاشمٍ وبنو عبدِ المطَّلبِ من الشِّعبِ توفِّي أبو طالبٍ ، ثمَّ خديجةُ ، وبينهما شهرٌ وخمسةُ أيَّامٍ فقط ، فحزنَ النَّبيُّ ﷺ والمسلمونَ جميعاً ، فسُمِّي هذا العامُ : (عامَ الْحُزنِ) .

الأُم : ولما توفِّي أبو طالبٍ اجترأت قريشٌ على رسولِ اللهِ ﷺ ، فخرجَ إلى مدينةِ الطَّائفِ ، ومعهُ زيدُ بنُ حارثة آملاً إسلامَ أهلِها ، ولكنَّه عادَ إلى مكَّةَ وهو محزونٌ إذ لم يستجِبْ لهُ رجلٌ واحدٌ من أهلِها ، ومعَ ذلكَ قالَ ﷺ لزيدٍ : « إنَّ الله جاعِلٌ لما ترَى فَرَجاً ومخرَجاً ، وإنَّ الله ناصرٌ دينَهُ ، ومظهِرٌ نبِيَّهُ » .

الأب : وفي هذه الفترةِ ، بعدَ عامِ الحزنِ ، وبعدَ رحلةِ الطَّائِفِ كانت معجزةُ (الإسراء والمعراجِ) ، بقدرةِ اللهِ الَّتي لا تحدُّها حدودٌ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ ، [الإسراء : ١/١٧] .

الأُم : اتَّجهَ ﷺ في نشاطِهِ إلى الدَّعوةِ خارجَ مكَّة ، فلقي عدداً من أهلِ يثربَ في مكانٍ يدعى (العَقَبَةَ) بين مِنَى ومكَّة ، فأسلمَ اثنا عشر رجلاً ، وهذه : بيعةُ العقبةِ الأُولى ، وعاد هؤلاء المسلمون إلى يثربَ ومعهم مصعبُ بنُ عميرٍ معلِّماً مفقِّهاً .

الأب : وفي موسمِ العامِ التَّالي ، عاد مصعبٌ إلى مكَّة ، وخرج المسلمون معه ، فكانت بيعةُ العقبةِ الثَّانيةُ ، الَّتي فاجأت قريشاً ، بعد أن بايعَ ثلاثةٌ وسبعونَ رجلاً وامرأتانِ رسولَ اللهِ ﷺ : « .. أنا منكُم وأنتُم منِّي ، أُحارِبُ مَن حاربتُم ، وأُسالِمُ مَن سالمتُم .. » .

الأُم : انتقلت قريشٌ بعد بيعةِ العقبةِ الثَّانيةِ من الإيذاء إلى الإفناء ، فدبَّرت لقتلِ رسولِ الله ﷺ ، فأذِنَ اللهُ لنبيِّهِ بالهجرةِ .

الأب : نامَ عليٌّ رضي الله عنه في فراشِ رسولِ الله ﷺ مطمئناً ، فلقد قال له ﷺ : « فإنَّهُ لن يَخْلُصَ إليكَ شيءٌ تكرهُهُ منهُم » .

الأُم : خرج ﷺ في غايةِ الهدوءِ والأمنِ متمهِّلاً ، ووضع حفنةً من التُّرابِ على رؤوسِ مَن حاصرَ دارَهُ ، خرجَ ليُهاجِرَ معَ أبي بكرٍ رضي الله عنه .

الأب : جُنَّت قريشٌ ، وطارَ صوابُ أبي جهل ومَنْ معه ، عندما علموا بخروجِ رسولِ الله ﷺ ، وأحدقوا بعليٍّ رضي الله عنه ، وحاولوا بكلِّ وسيلةٍ أن يعرفوا منه مكانَ وجودِ رسولِ اللهِ ، وعبثاً حاولوا ، فلمَّا استيأسوا منه أطلقوه ، فقام علي رضي الله عنه ينادي في مكَّة: من كانَ لهُ عندَ رسولِ الله ﷺ وديعةٌ فليأتِ تؤدَّ إليهِ أمانتُه .

الأُم : وكانَ دليلُ طريقِ الهجرةِ (عبدَ اللهِ بنَ أُريقط) ، ومع أنَّه مشركٌ لم يَخُن لصداقتِه مع أبي بكر رضي الله عنه ، والخيانةُ سُبَّةٌ كبيرةٌ عندَ العربِ .

الأب : وفي ١٢ ربيع الأوَّل سنة ١٤ من البعثة ، الموافق ١٨ تموز سنة ٦٢٢ م ، وصل الرَّكبُ المباركُ إلى (قُباءَ) ، ولما أراد ﷺ دخولَ المدينةِ (يثرب) ، أضاء منها كلُّ شيء ، يقولُ أنس رضي الله عنه : شهدتُ يومَ دخولِ رسولِ الله ﷺ المدينةَ فلم أرَ أحسنَ منهُ ولا أضوأ .

الأُم : لقد ازدانت المدينةُ ، ولبسَ النَّاسُ أحسنَ ملابسِهم كأنَّهُم في يومِ عيدٍ ينشدونَ ويضربونَ بالدُّفوفِ :

طَلَعَ البدرُ علينا ... من ثنيَّاتِ الوداع
وجبَ الشُّكرُ علينا ... ما دعا للهِ داع
أيُّها المبعوثُ فينا ... جئتَ بالأمرِ المطاع

زينة : جمَّع ﷺ المسلمينَ في موطنٍ واحدٍ ليُمكِّنَهُم مِنَ الدِّفاعِ عن أنفسِهِم ، والدَّعوةِ إلى دينِهم والجهرِ بهِ ، وأصبحت مصالحُ قريش التِّجاريَّةِ في خطرٍ في ذهابها إلى الشَّامِ وإيابِها منها .

سامر : لقد سجَّلنا في مفكِّراتِنا أهمَّ النُّقاطِ الَّتي ذُكِرَت في جلسةِ اليوم ، شكراً يا بابا ، شكراً يا ماما .

عامر : وأنتِ يا ديمة ، ماذا حفظتِ اليوم ؟

ديمة : نزلَ الوحيُ على رسولِ اللهِ ﷺ وهو في غارِ حراء ، وعذَّبت قريشُ المسلمين ، فهاجروا إلى الحبشة ، ثمَّ إلى المدينةِ المنوَّرةِ .

ضحكَ الجميعُ وقالوا : أحسنت يا ديمة ، أحسنتِ يا ديمة .

أحبّ أن أعرف

(تاريخ أمتي)

١- مهد أجدادي.

٢- حضارة أجدادي.

٣- العرب قبيل الإسلام.

٤- محمد بن عبد الله ﷺ قبل البعثة.

٥- محمد رسول الله ﷺ من البعثة إلى الهجرة.

٦- محمد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة.

ISBN 1-57547-118-3

9 781575 471181